بقلم : محمد البساطى

القصة الفائزة بالجائزة الأولى فى نادى القصة ١٩٦٤

من بداية الليل و « طارق » يتقلب فى فراشه ، أغمض عينيه وحاول أن ينام . ولكن ذهنه كان متوترا يفكر فى الخطة التى تملأ رأسه .. يعيد تفاصيلها مرة .. ومرة .. وفى نهاية كل مرة يشعر برغبة غامضة تجذبه اليها وطوال المدة التى قضاها يفكر فى خطته .. كان يحس بذلك الشىء الثقيل الذى جثم على نفسه فى الايام الاخيرة يتفتت .. ويتألق فى أعماقه احساس جديد .. لذيذ كالشعور الذى يجتاح الانسان فى اللحظة التى ينتفض فيها من حلم مزعج، ثم يتذكر فجأة أنه كان يحلم ..

وعندما نهض فى الصباح . كان يبدو أنه نسى الامر فلم يعد يشغله سوى أن يلبس البنطلون ، ويحمل حقيبته ، ويأخذ القرش الصاغ من والده . غير أنه حين اقترب من حجرة أبيه ووقع بصره على أمه ، تذكر فجأة كل شىء ..

كان أبوه واقفا أمام المرآة يجاهد فى تعليق حمالة البنطلون ، وعلى وجهه مسحة من الرضى والراحة . ورغم انهماكه فى خياله المنعكس على المرآة .. كان يصيح من حين لآخر « نفيسه .. قومى .. كفاية نوم .. » .. والأم راقدة فوق بطنها ـ تقاوم احساس اليقظة ، وتسبل عينيها فى ضيق من أشعة الصباح المتسللة من النصف الأعلى للنافذة . وانزوى طارق عند البوفيه . يستمع بالرغم منه الى الحوار المتبادل فى الحجرة .. كان يفكر فى مشكلة بدت له فجأة من خلال خطته .. هل يأخذ البيجامة أيضا؟ .. لقد ملأ الحقيبة بكفايته من الطعام .. وكسر الحصالة .. وأخذ النقود .. ولن يعود الى هذا البيت ، سيقيم عند أحد أصدقائه .. وسيبحثون عنه .. ولن يجدوه .. وحين يسألون فى المدرسة يهرب عند حضورهم .. كلا .. لن يأخذ البيجامة .. سيجد غيرها عند صديقه .. ثم قابلته مشكلة أخرى .. هل يطلب القرش من والده ؟ . وجاءه صوت والده من الحجرة « انتظر يا طارق حتى تفطر .. نفيسة .. نفيسة ..... » وأحس طارق بشىء يتدفق فى حلقه كانما يوشك على البكاء . وجذب باب الشقة فى عنف .. وخرج ..

وما أن احتواه الشارع ولفحات الهواء الرطبة حتى شعر أن تفكيره قد أصبح غريبا عنه .. وأن الامر لا يعدو أن يكون حلما .. حلما مزعجا لا غير ..

الا أن الحقيبة الممتلئة بالطعام كانت تجذبه الى الفكرة المخيفة التى شعر برهبتها الآن فقط .. هو يترك البيت .. يكسر الحصالة .. ويأخذ النقود.. واضطرب كل شيء فى نفسه . وأحس بشعور مبهم مفعم بالمرارة يتسلق أعماقه فى قسوة .. وحين وقع نظره على الترامات .. تذكر أنه عادة يتعلق بها حتى يصل الى المدرسة .. وشعر أن هذا كان يحدث من زمن بعيد .. غير أنه فى عناد عاد يتساءل « .. لم لاأفعل ذلك الآن ؟.. أوه .. أهذا وقت التفكير فى هذه الاشياء ؟ .. » ومن بين الضباب الذى يغلف أحاسيسه ، برز له وجه أبيه ان أمه لن تبحث عنه .. ولكن والده .. والده الحبيب .. ماذا يحدث حين يكتشفون هروبه؟ ـ وتيقظت فى نفسه لذة خفية وهو يتخيل أفراد العائلة وقد تملكها الذعر .. اخوته ينكمشون فى خوف، يرقبون أباهم وهو يدور فى الحجرة كالمجنون ، وأمة ـ انه لا يريدها أن تبحث عنه .. انها السبب .. نعم بسببها يحدث هذا كله ـ وفى حذر راح يتذكر وجه أمه ـ انها تمضغ الطعام بصوت قبيح .. وتلك اللبانة القذرة لا تفارق فمها .. لم لا يقول كل شيء لأبيه ؟ .. ولكنه سيضربنى .. انه يفعل ذلك .. ولكن مهما يكن .. انه والدى .. وأحبه رغم ذلك ... ما دام يرى أن يضربنى .. فليضربنى .. حتى لو كسر ذراعى .. وهذه المرأة اللعينة تتسبب دائما فى ضربى » .. وتوقف تفكيره فجأة ، فقد لاحظ فى شيء من الرهبة أنه يشتم أمه ، وشعر بذلك الحاجز من الاحترام القائم عادة بينهما ينتفض فى أعماقه ، فاندفع يحطمه فى هياج ويسبها أكثر

نعم قذرة .. ليس لها عمل سوى أن تقف بالبلكونة .. تلبس الروب الازرق .. واللبانة فى فمها .. وهذا الكلب يقف فى الشارع تحت البلكونة .. ويتظاهر أنه يصلح الموتوسيكل .. أيظن أنه يخدعنى .. لقد رأيتهما بعينى .. وتظننى صغيرا .. آه هذه المغفلة .. اننى أفهم كل شيء .. اننا فى المدرسة نعرف كل زملائى يعرفون .. وابراهيم يقص علينا ما يفعله مع خادمتهم .. وتظننى صغيرا .. تفو .. متى أجر هذا الدكان أمامنا ؟ .. مكتب محمود زفت لبيع الادوات الصحية .. طظ .. يركب الموتوسيكل .. وطول النهار فى الشارع .. طاخ .. تك تك .. وأنا كنت أتمنى أن أركبه .. وقد حاول هذا اللعين أن يركبنى معه .. لقد كنت مغفلا .. أرى الموتوسيكل كل يوم ولا أعرف أنه وضع هناك من أجلها .. ولكن هذا الدور الارضى .. لو اننا نسكن الدور الثانى .. أو حتى السطوح .. لما حدث شيء من هذا .. لو يعلم أبى لحطم رأسه .. وسيضربها .. ولكنها دائما تكذب .. وهو يصدقها » ..

وتذكر يوم رش الماء على الموتوسيكل، فقد صفعته أمه على وجهه . وضربه أبوه .. هذه الكاذبة .. انها لاتخجل أبدا .. بل تشتم وتضربنى وكانها لا تفعل شيئا مع هذا الرجل ..» طارق انهض لتغسل قدميك فرائحتهما قذرة .. « رائحة قدمى قذرة .. ! وماشأنها هى ؟ .. طارق ضم ساقيك ..» .. «طارق .. لا تجلس هكذا .. » ... طارق .. طارق .. دائما طارق ..

ليس أمامها غير طارق ·· لقد رأيتهما بعينى ·· لو يعلم أبى بما حدث فى البيت ·· أوه ·· » ـ وأحس بجسده يرتعش فى قوة ·· كما لو أن آلافا من النمل تهرول فى ذعر تحت جلده ···

واقترب طارق من المدرسة ، ووقع نظره على عبد النبى البواب بوجهه الأسود الطيب يقف هناك بجوار السور ، وتنهد فى عمق كأنما ينفض شيئا قاتما عن نفسه ، وبدا وجهه الصغير متعبا ·· حزينا ·· بينما يده الخالية لا تزال منقبضة فى عنف ·· تهدد شيئا ما ··

منذ أيام ، كان كل شىء يجرى عاديا فى نظر طارق · حين يعود من المدرسة يجد أمه واقفة فى البلكونة ، وتبتسم له ويدخل البيت ، وتبقى هى تنتظر عودة أبيه · غير أنه فى الايام الاخيرة لاحظ فى شىء من الضيق أن أمه حين تكون فى البلكونة ، فانها تتحدث عادة مع الرجل صاحب محل الادوات الصحية · وجاء يوم شعر فيه طارق أنه فقد الابتسامة التى تستقبله بها أمه ووجد نفسه فجأة يكره الرجل · ويكره الموتوسيكل الذى يضعه بجوار البلكونة ·· بدأت الظنون تتسرب الى عقله قطرة · · قطرة · · وراح يرقب حركات أمه ، فحين يراها تخرج الى البلكونة يتسلل خلفها وينزوى فى ركن الحجرة ، يسمع حديثها وضحكاتها ويشعر باحساس غامض من الضيق والخجل · وفكر طارق أنه أمر عادى أن تقف أمه فى البلكونة وتكلم الجيران ، وتحمس لهذه الفكرة ، فقد شعر تجاهها براحة تطفىء تلك الاحساسات الغامضة التى تسربت اليه فى الايام الاخيرة غير أن ظنونه سرعان ما اتخذت صورة اخرى أعنف وأقسى ، فقد جذب انتباهه شىء لم يلاحظه فى بادىء الامر ·

كانت أمه عادة تظل واقفة فى البلكونة حتى وقت معين ·· فيجدها تندفع الى الداخل ، ووجهها مشرق ، وحركاتها مضطربة حتى أن عينيها لم تكن تراه فى جلسته خلف باب البلكونة ، وبعد دقائق يدق جرس الباب ، ويدخل أبوه وبزغت الفكرة فجأة فى رأسه ·· انها تخشى أن يراها والده واقفة تحدث هذا الرجل وتضحك معه·· ليس الامر عاديا كما كان يظن اذن فهناك شىء·· وتخيل على الفور وجوه زملائه فى المدرسة وهم يضحكون ويتغامزون حين يقص عليهم ابراهيم حوادثه مع الخادمة ·· ولم يعد طارق يجرؤ على الخروج الى البلكونة وراح يقضى أكثر وقته يتأمل وجوه اخوته وأبيه وكأنه يراهم لاول مرة ويتخيل نفسه فى بعض الاحيان وقد أمسك بالرجل وراح يضربه ويعضه حتى يجعله يصرخ ·· ووجد نفسه فجأة يتعمد أن يخالف أوامر أمه، وكان هذا يعرضه للضرب فكان يتقبله فى زوبعة من البكاء ·

وذات يوم عاد من المدرسة ولم يجد أمه فى البيت ·· وحين دخل والده وسأله عنها اندفع يصيح « لا أعرف انها تخرج ·· تخرج ·· تخرج ·· تخرج دائما » ودهش والده وصفعه على وجهه قائلا ·· «لاتتكلم هكذا مرة أخرى يا كلب » ، حين عادت أمه ناداها والده فى الحجرة الاخرى ، وبعد برهة رجعت ، ووقفت ترمقه فى قسوة · · واضطرب طارق وأحس بندم شديد ، وراح ينظر الى أصابع قدميه ·

سألته أمه : ماذا كنت تقول لابيك ؟

فقال فى خوف : لم أقل شيئا·· انه ضربنى ·

وجاء صوت الاب من الحجرة الاخرى انتهى الموضوع يانفيسه ·· لقد ضربته

وتمتمت الام : آه يا كلب ·

واجتاح طارق شعور بضآلته وعجزه وتمنى أن يزجره أحدهم حتى يبكى ·

وأمس فقط · عاد من المدرسة ·· وفتحت أمه الباب ، وحين دخل الشقة سمع صوت دق يأتى من المطبخ ، فنظر اليها ، ولكنها أقفلت الباب ولم تعره انتباها ، وعند مروره بالصالة فوجىء بالرجل واقفا فى المطبخ قرب حوض الحنفية بقميصه الازرق الحريرى وذهل طارق واتسعت عيناه حتى صارتا فى حجم القرش ·· وجرى الى حجرة النوم كان يلهث ووجهه شاحب ، وشفتاه فى لون الرماد ·· ووجد شقيقيه الصغيرين يتشاجران فى الحجرة وحين أبصرا به اندفعا ناحيته فى صياح يجذبان يديه وقميصه ·· انها برتقالتى يريد أن يأخذها ·· فيتعثر الآخر فى خطواته ، ويجيب فى لعثمة : برتقالتى ·· انت ·· تأخذها ·· وهجم فى خبث الاطفال على شقيقه ليختطف البرتقالة ، غير أن الآخر كان متيقظا فزاغ منه خلف طارق ، ولم يجد هذا بدا من أن يمسك البرتقالة ويرميها فى غيظ الى أقصى الحجرة · ومط الصغير بوزه يريد أن يبكى ·· فى حين وقف الآخر مترددا ينظر الى وجه طارق والى البرتقالة ، ثم اندفع مرة أخرى ناحيتها · وما أن رأى الصغير ذلك ·· حتى امتص كل دموعه وقذف بنفسه الى المعركة ·

ومرت لحظات بطيئة ·· ثقيلة · ·

وطارق يدور فى الحجرة حائرا ، وأفكاره تتخبط فى رأسه ثائرة ·· مضطربة·· يرى شقيقيه وقد انزويا فوق السرير يقتسمان البرتقالة ·· وينظران اليه فى وجوم ·· ويفكر ·· لو انه يستطيع أن يثيرهما ويجعلهما يتشاجران·· ويقترب من باب الحجرة ثم يعود ·· ثم يقترب·· ويعود ·· ويتذكر أن الرجل دعك أنفه مرة · ·ويحاول أن يبعد تلك الصورة عن ذهنه ·· ولكنها تلح على تفكيره فى عناد ·· ويحس بالغضب ، ويستقر رأيه على الذهاب الى المطبخ، فيندفع خارجا محدثا ضجة بيديه وقدميه ، ثم يقف بالصالة مترددا ، يقضم أظافره بانفعال وأسنانه تصطك ، ووجهه يرتعش ، ثم يدور فى بطء ، ويعود الى الحجرة وقد ازداد تحطيما لأظافره · ودق جرس الباب ، وكاد يصيح فى فرح ·· أبى·· وانطلق يفتح الباب ، وتعلقت يداه فى شغف بذراع أبيه ، فزمجر والده ·· ماذا حدث ؟

فابتسم طارق فى وجهه ، وانفرجت شفتا الاب عن ابتسامة باهتة ، وامتدت أصابعه تعبث بشعر ابنه ، وازداد التصاق طارق به ··

وأقبلت الام فى تمهل وهمست له : الاسطى محمود بيركب الحوض الجديد فى الداخل ··

وبدا القلق على وجه الرجل ، وجذب ذراعه من أحضان ابنه قائلا : طيب ·· طيب·· احضرى الغداء الى حجرة النوم· ونفيسة أدرى بطباع زوجها ، وتعرف وجود الغرباء يسبب له الضيق والخجل، ودائما يترك لها مقابلتهم ، فهزت رأسها وانثنت تعد له الغداء ·

وتسلل الزوج الى حجـرة النوم فى صمت ، ومرت لحظات وطارق فى وقفته لا يعى شيئا ·· وفى هذه المرة شعر بقوة خفية تدفعه الى المطبخ ، استقبله الأسطى محمود مبتسما فى أدب ··

أهلا طارق ··

وطاف بذهن طارق أن يصيح فيه·· لم جذبت أنفى ؟

كانت أمه فى مواجهتـه ترقب يدى الرجل وهما تعملان فى تركيب الحوض وقد استحوذ العمل على كل انتباهه · ومرت دقائق صامتة ·· وتحركت قدما طارق فى قلق ·· وشعر أنه غير مرغوب فيـه ، فراح يعبث بأدوات المطبخ ·· يفتح علبة الملح ثم يقفلها ، يرفع الكوب ويشمه ·· ويوجه نظرات عدائيـة الى الرجل ·· ويفـكر لو أن أمه كعادتها أمـرته أن يذهب الى حجـرته ·· فانه سيرفض ليحدث ما يحدث·· وانتظر·· ولدهشته لم تأمره أمه أن يغادر المطبخ، بل راحت تتحدث الى الرجل فى صوت هادىء :

ـ انتبه ياأسطى محمود ·· فلانريده عاليا ·· نعم نعم ·· هذا يكفى ··

ويرد الرجل : حاضر يا ست نفيسه حاضر ·

وتقابلت نظرات طـارق مع أمه ·· وشعر أنها ستأمره فى هذه اللحظة أن يذهب الى الحجرة ، فاستدار فى عصبية وخرج ·· ومر وقت وهو راقـد فوق السرير ·· ولسبب ما ·· شعر فجأة برغبة فى أن يرى ما يحدث هناك ·· فتسلل فى حذر ، وكمن فى الصـالة بجوار باب المطبخ ، ومط رقبته وراح ينظر بنصف عين ·· كانت أمه لاتزال واقفة وظهرها اليه ·· والرجل بعيد عن نظره · ·وطال انتظار طارق ·· لم يكن يعرف ماالذى ينتظر حدوثه ·

وتملكه قلق عنيف خشـية أن يراه والده فى هذا الوضع ·· وحين استقر رأيه على العودة الى الحجرة ·· أبصر أمه تتراجع ، فعاد على الفور يتشبث بالجدار وأدارت الام رأسها فمـال الى الخلف وهو يمسك زفراته ، ثم عاد يتلصص بنظره · كان جزء من وجه الرجل قد ظهر هذه المرة ، ولم يعد طارق يسمع أصوات الدق ، وخيل اليه أن كل شىء حوله قد توقف عن الحركة، وان السكون قد خيم فجأة على المطبخ والبيت ، ثم تناهى الى سمعه همسا متحشرجا وكثر تراجع أمه ، واستطاع أن يرى وجههـا كان منقبضا ·· وعيناها مذعورتان ·· ولمح يد الرجل تمتد الى ذراعها ، وفكر طارق : ستصفعه أمه الآن ·· ستصفعه غير أن أمه جذبت ذراعها من قبضـة الرجل · ·وتراجعت وأصيب بخيبـة أمل ·

ثم عاد يفكر فى يأس : ستصفعه الآن ·· الآن ·· ورأى الرجـل ينهض فى تثاقل ويقترب من أمه ، وخيل لطارق أنها المرة الاولى التى يرى فيها وجـه الرجل ·· كان أسمر شاحبا ، وشفتاه تنفرجان من حين لآخر كأنمـا يهمس بشىء ما

وتنبه طارق ·· فقد كان يلعق حافة الباب بشفتيه ، ومسح فمه بسرعة وعاد يفكر ·· لم لاتضربه أمه ؟ لم لاتضربه ؟ وحاول أن ينصت الى حديث الرجل ·· ولكنه لم يسمع سوى دقات قلبه ·· كانت تنبض فى قوة ·· حتى خيل اليه

أن أمه هي الاخرى تسمعها ·· وانتابه الذعر حين رأى يد الرجل تمتد الى كتفها ولا يدرى ماذا حدث بعد ذلك · فقد وجدهما فجأة يلتفتان نحوه · وشعر للحظة خاطفة أن صوتا ما قد انفلت منه منه ·· أشبه بآهة ··أو أنين··واندفع دون وعى يعـــدو الى حجرته ، ورمى بنفسه بين شقيقيه ، وراح يعابثهمـــا وجسده ينتفض من الخوف ، وســـمع خطوات أمه تتجه الى الحجرة ، وتشبث بشقيقيه ، وحاول أن يضحك، واقتربت أمه ·· وفى حركة سريعـة أدار ظهره للباب وراح يدغدغ شقيقيه بأصابعه ، وهما ينظران اليه فى دهشة ، ثم أحس فجأة بعيسى أمه تحرقان ظهره، فارتجف وخشى أن تلحظ أنفاسه اللاهثة · · فرفـع يده يضغط على فمـه ·· ثم عاد وخفضها فى سرعة ، وارتبك ·· يجدر به أن يقبل شقيقه ·· كلا ·· يضحك نعم يضحك ·· هل هى واقفة · ·لو يستدير لحظة ·· لماذا توقف عن اللعب مع شقيقيه ؟ أوه ·· لم تعد فائدة ·· لقد عرفت ·· عرفت ··

وفى اللحظة ذاتها سمع خطوات أمه تعود · ·وارتمى فوق الارض ، لم يكن يفكر فى شىء ·· فقط كان يحس أنه متعب ·· متعب ·· ويريد أن يبكى·· وحين قفز شقيقاه فوق بطنه ليداعبانه لم يشعر بالرغبة فى أن يمنعهما ·

ومرت الساعات الباقية من النهار · لقد جرب النوم ليبتعد عن نظرات أمه ، ولكنها دائماكانت تدور حوله ··تجلس بجـواره ، وتحـاول أن تحيط كتفيـه بذراعها ، فيتظاهر أنه عطشان ، يحس بعينيها تتبعانه حين يقف أو يخرج ·· وحتى حين جذب الغطاء على وجهه وفى هذا المساء ·· وقبل أن ينام ·· شعر أنه يجب أن يفعل شيئا ما ، وتولدت فى ذهنه فكرة الهرب ·

انتهى اليـوم الدراسى ·· وخـــرج طارق مع زملائه يتواثبون ناحية البوابة ويجذبون عبد النبى البواب من البالطو الاصفر ، وحقيبتـه الجلدية خفيفـة فى يده ، لقد أكل نصف الطعام الذى كان بها ، ووزع الباقى على زملائه · وبجوار سور المدرسة · وقفت الشلة الصغيرة تلعب البلى ، وأخذهم الحماس ، وتعارك طارق مع أحدهم ، وأصر على أن يخاصمه ثلاثة أيام ، ثم تصافحا ·· ولعبا معـا مرة أخرى · وفى نهاية اللعب جـــذب حقيبته وسار يفكر فى القرش الصـاغ الذى كسبه من الاولاد ·· وتوجه الى الترام ليتعلق به حتى البيت ·· وحين طاف الترام بذهنه·· تذكر كل شىء·· وتوقف عن السير ·· وفكر فى ضيق انه لم يكلم مصطفى لينام عنـــده ·· ليس هذا مهما ·· سيذهب اليه الآن ، غير أنه لايزال واقفا مترددا·· وجبينه يضيق فى غضب ·· ثم برقت عيناه ، وتمتم قـائلا : ولـم لا ·· أذهـب الى السينما، وحين أخرج أتوجه الىمصطفى وأقول له أننى جئت لأذاكر معه ·· ثم أقضى معه الليل ·· وهكذا ··

ونضجت فكرة السينما فى رأسه ، واندفع اليها فى حرارة ·· لم يتغير من الأمر شيئا ·· لن أذهب الى البيت ·· وساعيش· مع مصطفى كما قررت سابقا فقط سأدخل الســينما ·· وليس فى ذلك شىء ·· لاننى حر الآن ·· أفعـل ما اشاء ·

وحين خرج من الســينما ·· كانت

ظلال الغروب تستلقى فى دعة ، والليل يقترب فى بطء واصرار ·· وشد طارق من قسمات وجهه ، وتوجه الى البيت ·

وطوال الطريق·· كان يحس بشعور مبهم من الاشمئزاز ·· والخجل ، كان يفكر وعيناه تتطلعان الى الناس فى حيرة كم هو سخيف ؟ يذهب الى مصطفى ؟ كيف فكر فى ذلك ؟·· ووالد مصطفى ماذا يقول عنه ؟·· وحين يساله ·· لم ترك البيت ؟ ماذا يقول ؟ كم هو سخيف كيف فكر فى ذلك ·· انها هى التى تترك البيت ·· كيف يمكنه أن ·· أوه · ·ماذا يفعل ·· ماذا يفعل ؟ ··

كان البيت يبعد حوالى مائة متر· لم يشعر أنه سار خطوة منها ·· كان عقله يدور فى عنف ، ونفسه مثقلة بهموم ·· وأشياء لم يعد يشعر تجاهها بالرغبة فى أن يدقق ·· لقد وصل بتفكيره لى تلك النقطة من التشبع التى يبدو عندها كل شىء · ·وكل تفكير ·· وكأنه واقع خارج نطاق الاحساس · · وشعر برأسه تكاد تنفجر ·· الحبل قبل أن ينقطع تبقى به شعرة أو أكثر تمسك طرفيه ··والبيت قبل أن يتهاوى تمر عليه لحظة تشقق ·· ويبدو مترددا ثم يهوى فجأة·· تلك اللحظة المضطربة ·· المذعورة ·· التى يهتز فيها كيان الشىء بجنون قبل أن ينتهى ·· أحس بها طارق للمحة خاطفة ·· وبعدها شعر بخيوط العرق اللزجة تبلل جسده وبأعصابه المشدودة تسترخى وتنكمش

وتسلل اليه احساس لذيذ من الراحة· كالتى يشعر بها الغائص تحت الماء حين يجد نفسه فجأة وقد وصل الى سطح المياه ·

وحين دق جرس الباب ·· كان يبدو متعبا · ·خائر القوى ·

كان والده يتناول طعامه ، والام على مقربة منه تخيط بعض الملابس المغسولة ووجهها الجميل تعكره سحابة خفيفة من الحزن ·· وحين دخل طارق رفعت رأسها واهتزت عيناها فى استفهام صامت ·· بينما بذل الوالد مجهودا سريعا ليبتلع اللقمة التى يلوكها فى فمه ، وما أن انفلتت الى جوفه حتى صاح :

ـ أين كنت كل هذا الوقت ؟

وأجاب طارق فى ضيق :

ـ كنت فى المدرسة ·· كان هناك لعب كورة ·· وبقيت لأشاهده ·

وزمجر الاب ، وراح يلقى فى صياح حديثا طويلا عن الاولاد الفاسدين الذين يهملون دروسهم ليلعبوا الكرة ·· أو يتفرجوا عليها ، ثم انتقل بسب آباءهم الذين يعطونهم الفرصة لذلك ·

وخلع طارق ملابسه فى هدوء ·· كان يشعر بعينى أمه تدوران حوله ·· ولم يحس لذلك بأى اضطراب ، ومرت ساعة · وتنبه الوالد لما يحيط بابنه من غموض · فسأله :

ـ ماذا بك ؟

وأجاب طارق : لاشىء ·

قال الاب : انك تبدو مريضا !

وشعر طارق بالرغبة فى أن يمرض وما أن طافت هذه الرغبة فى ذهنه ·· حتى أحس بالدموع تندفع الى عينيه ·

وسأل الاب مرة أخرى : هل تشكو من شيء ؟

فرد طارق : عندى صداع فقط ٠٠ ثم انفجر باكيا ٠

وقال الاب فى دهشة : عندك صداع وتبكى ؟

وازدادت شهقات طارق ٠

فصاح الاب : انك تبكى كثيرا هـذه الايام ٠٠ ماذا بك ياولد ؟

وتنحنح طارق ٠٠ ثم اندفع يبكى فى حرارة ٠

واقترب منـه والده ، وراح يلاطفـه حتى سكت عن البكاء ، وأخذه لينـام معه فى حجرته ٠

وظلت الأم صامتة ٠٠ تخيط الجوارب وعيناها ترقبان وجـه ابنها فى دقة وحزن ٠ وفى الليل حين نهضت لتجذب العطاء عن الصغار ٠ عن بها أن تذهب الى الحجرة الاخرى ، كان طارق يحيط بطن أبيه بذراعه، ووجهه الصغير ملتصق بكتفه الضخم ، وساقاه عاريتان والغطاء مكوم عند أقدامهما ، وشـخير الوالد يرتفع هادئا ٠ ٠مطمئنا ٠٠

وجذبت نفيسة الغطاء٠٠ وأحاطتهما به ، ثم مدت يدها فى رهبة تملس على شعر طارق، كانت تقاطيع وجهه شاحبة ٠٠ رائقة كصفحة ورقة بيضاء ٠٠

وأقفلت المـرأة البـاب وعادت الى حجرتها ٠٠ كان ضوء الشارع لا يزال يتسلل خلال فتحات الشيش٠٠ ورقدت نفيسة على السرير ، ولفت ذراعها حول رأسها ٠٠ وراحت تنظر الى مربعـات الضوء المنعكسة على الجدار المقابل خيل اليها أنها لمحت بينها وجها صغيرا شاحبا ٠٠ كان ينظـر اليهـا ٠٠ ويبتسـم فى حزن ٠